مجلـــة كليـــة التربيـــة طرابلـــس

Journal of the Faculty of Education Tripoli

فلسفة علم النفس في الحب والأخلاق عند ابن حزم الاندلسي من منظور معاصر (دراسة تحليلية مقارنة)

عمر أبوالقاسم غلام

قسم العلوم التربوية والنفسية، كلية التربية طرابلس، جامعة طرابلس، طرابلس، ليبيا.

البريد الإلكتروني: o.gulam@uot.edu.ly

Article history

Received: May 16, 2024 Accepted: Jun 6, 2024

الملخص:

تسلط هذه المقالة الضوء على فهم وتحليل ما يوجد في رسالة طوق الحمامة وكتاب الأخلاق عند ابن حزم من فلسفة علم النفس في الحب والأخلاق, فقد تبين أن ابن حزم بوصفه لظاهرة الحب والأخلاق كما هي موجودة في واقع المحبين وأخلاق الناس, قد سبر أغوار النفس مثل وصفه لعلامات الحب وأنواعه, و وصفه وتشخيصه لكلام الناس وعيوب النفس, وما يحملان من دلالات معرفية عميقة في النفس, كذلك أبرز هذا العمل أهمية فلسفة علم النفس عند ابن حزم على صعيد الفكر الإنساني من خلال مقارنته مع علماء النفس, فما أتى به هؤلاء العلماء في هذا المجال المعرفي وخاصة فرويد قد أسس ابن حزم دعائمه منذ عدة قرون ولو كان ذلك بصورة مختصرة.

الكلمات المفتاحية: الحب، الأخلاق، النفس.

The Philosophy of Psychology in Love and Morals According to Ibn Hazm Al-Andalusi from a Contemporary Perspective

A B S T R A C T:

This article sheds light on the understanding and analysis of what is found in the message of "Tawq Al-Hamama" and in the book of Ethics in Ibn Hazm, of the philosophy of psychology in love and ethics, it was shown that Ibn Hazm as a description of the phenomenon of love and morals as they exist in the reality of lovers and morals of people, has probed the depths of the soul such as his description of the signs of love and its types, and his description and diagnosis of the words of people and the defects of the soul, and what they carry of deep cognitive connotations in the soul, as well as highlighted this work the importance of the philosophy of psychology in Ibn Hazm at the level of human thought by comparing it with psychologists, what these scholars came up with in this field of knowledge, especially Freud that Ibn Hazm founded his pillars several centuries ago, even if this was briefly.

Keywords: Love, Ethics, Psychology, Philosophy.

المقدمة:

من المعروف أن ابن حزم الأندلسي (383هـ – 456هـ) اشتهر بالفقيه الظاهري الذي يرتكز على الأخذ بظاهر النص القرآني والسنة في أحكام الشريعة الإسلامية، وهذا المذهب هو السائد على مؤلفاته، بما في ذلك دراساته النفسية، على سبيل المثال لا الحصر هو ما ختم به المؤلف رسالته في الحب (طوق الحمامة) ببابين هما باب قبح المعصية وباب التعفف فقد أورد آيات وأحاديث كثيرة يقارع فيها الهوى ويدعو إلى العمل إلى الآخرة، بعد ما كان في معظم أبواب الرسالة باحثا عن الحب والعشق.

لكن بصرف النظر عن توجهات ابن حزم الفقهية، ما يهمنا هو البحث عن فلسفة علم النفس في الرسالة المذكورة وكتابه الأخلاقي (الأخلاق والسير)، فهذان المؤلفان بالرغم من صغر حجمهما إلا أن قيمتهما المعرفية بالغة الأهمية، لأن دراسة الحب والأخلاق يشكلان في حد ذاتهما دراسة للأحاسيس والمشاعر، والرغبات والعواطف، والميول والاتجاهات الخلقية لدى الإنسان, وهذه الموضوعات تعد من صميم التخصصات المعرفية في علم النفس والأخلاق.

كما أن دراسات ابن حزم في الحب والأخلاق تتميز عن سائر كتبه ورسائله في كونها مستمدة من وصفه لواقع المحبين وأخلاق الناس كما هي موجودة في واقع المجتمع الأندلسي آنذاك، ولا يعني هذا أن ابن حزم كان مجرد واصفا لظاهرة الحب والأخلاق فحسب بل نجد أنه سبر أغوار النفس لمعرفة ما تحمله هاتين الظاهرتين من معان دقيقة في النفس.

بالتالي إن دراستنا لفلسفة علم النفس في الحب والأخلاق لا تستند على الكم والإطالة في الشرح بقدر ما يكون الطابع العام لها هو الإيجاز والاستيعاب، حيث سيتم إعادة بناء لنصوص ابن حزم في الحب والأخلاق النفسية في نسق فكري متكامل، وتجدر الإشارة أثناء عرض هذه النصوص سنبين أن ما أتى به ابن حزم في هذا المجال المعرفي لا يقل أهمية عما جاء به مفكرو الغرب في مجال علم النفس، وما أحوج تراثنا الإسلامي الى فكر أصيل بالإمكان تطويره لحاضرنا مع الحضارات الأخرى.

تحديد مشكلة الدراسة:

لاحظ الباحث من خلال القراءة المتأنية لنصوص ابن حزم في الحب والأخلاق أنه بالإمكان استخراج منها فلسفة علم النفس بصورة متناسقة لذا سيتم دراسة هذا الموضوع من خلال محاولة الإجابة على التساؤلات الآتية:

س1_ هل توجد قواسم مشتركة بين محتويات الرسالة والكتاب؟

س2_ من اين استمد ابن حزم دراساته النفسية في الحب والأخلاق؟

س3_ ما العلاقة بين منهج ابن حزم في دراساته النفسية في الحب مع منهجه في الأخلاق؟

س4_ ما الدلالات المعرفية المعاصرة لفلسفة علم النفس في الحب والأخلاق عند ابن حزم؟

أهمية الدراسة:

1_ تتميز فلسفة علم النفس في الحب والأخلاق عند ابن حزم بالأصالة والمعاصرة.

2_ قلة الدراسات المقارنة بين رسالة الحب عند ابن حزم وكتابه الأخلاقي.

الهدف من الدراسة:

1_ التعرف على القواسم المشتركة بين محتويات الرسالة والكتاب.

2_ معرفة المنهج الذي استعمله ابن حزم في منهج دراساته النفسية في الحب والأخلاق.

3_ معرفة العلاقة بين منهج دراسات ابن حزم النفسية في الحب ومنهجه في الأخلاق.

4_ تطويع فلسفة علم النفس في الحب والأخلاق مع علم النفس والتحليل النفسي عند مفكري الغرب.

منهج الدراسة:

بما إنّا ندرس المنهج الذي استعمله ابن حزم في دراساته النفسية في الحب والأخلاق لذا سنبين هذا المنهج بعرض نماذج نفسية متنوعة لظاهرة الحب والأخلاق وما تحمله من معان عميقة في النفس، مع استخدام المنهج المقارن بحيث يتم المقارنة بين المنهج الذي استعمله ابن حزم في دراساته النفسية للحب مع منهجه في الأخلاق هذا من جهة ومن جهة أخرى سيتم عقد مقارنات دقيقة بين فلسفة علم النفس في الحب والأخلاق عند ابن حزم مع الدراسات النفسية عند علماء النفس في الغرب.

فلسفة علم النفس في الحب والأخلاق عند ابن حزم الاندلسي من منظور معاصر

قبل التحدث عن فلسفة علم النفس في الحب والأخلاق، لابد أن نتطرق إلى نقطة مهمة تحدث عنها ابن حزم في كتابه الفصل حول علم النفس المعرفي عند الطفل فقد رأى أن الطفل يولد صفحة بيضاء لا يعلم شيئا مستدلا بهذه الآية (واللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .(.(78) سورة النحل .لذا يعتقد أن الصبي كسائر الحيوان, لما يقوم به من حركات ظاهرة مثل مص ثدي أمه وقلب أعضاء جسده ما أمكنه ذلك ، وعندما ينمو بشكل تدريجي يبدأ في معرفة قوانين العقل فإذا أعطيته ثمرة واحدة بكى وعندما تزيده ثمرتين أو أكثر يسر وذلك لعلمه أن الكل أكثر من الجزء وإذا أرغمته على الجلوس قسرا وهو واقف بكى لعلمه أنه لا يمكن أن يكون جالسا أو واقفا في مكان واحد(ابن حزم, 1986) ,وفي هذا الشأن يؤكد علماء النفس أن تفكير الطفل دون السن السابعة لا يدرك معنى التعليل العقلي للأشياء, لكن لديه القدرة على التفكير المادي الحسي, والتعليل المرتبط بعواطفه النفسية (غالب, 1979 ص 28).

لو اطلعنا على محتوى الرسالة والكتاب المذكورين, نجد قاسما مشتركا بين الحب والأخلاق, فلا تخلو أبواب الرسالة من آراء وتعليقات ابن حزم الخلقية مثل الحب من نظرة واحدة حب التعريض بالقول إذ يعتبر الحب الأول حبا سريعا , ويدل على قلة الصبر , والغاية منه الحصول على الشهوة , والحب الآخر هو ما يكشف فيه المحب عن حبه لمحبوبه علنا أمام الآخرين , وهذا في نظره حب غير أخلاقي لأنه لا يستر فيه المحب علاقته مع محبوبه (ابن حزم 2, تحقيق عباس 1983) كذلك تحدث فيها ابن حزم بشيء من التفصيل عن فضيلة الوفاء ورذيلة الكذب, لكن ما عبر عنه بشكل صريح وواضح عن موقفه الخلقي الديني هو ما ختم به الرسالة في باب قبح المعصية وباب التعفف الذي تحول فيهما ابن حزم من عاشق وباحث في الحب في معظم أبواب الرسالة إلى رجل فقيه يقارع الهوى ويدعو الإنسان إلى العفة والعمل إلى الآخرة .

أما فيما يتعلق بعلاقة كتاب ابن حزم الأخلاقي بالرسالة فقد خصص عدة فصول ليتحدث فيها ابن حزم عن أنواع الحب والغيرة والعشق، والأهم من ذلك توجد علاقة وثيقة بين المنهج الوصفي الذي استخدمه ابن حزم في الرسالة *والكتاب* هذا ما سنبينه لاحقا.1

لنشرع الآن في البحث عن فلسفة علم النفس في رسالة طوق الحمامة وعلاقته بكتابه الأخلاقي, فنرى أن ابن حزم لديه خبرة واسعة في دراسة نفسية المرأة حيث صرح أنه أثناء تعليمه وتربيته على أيدي الجواري المثقفات، كان لديه رغبة منذ صغره في مراقبة سلوكهن والإطلاع على اسرارهن ((.. لم يكن وكدي وإعمال ذهني وأنا في سن الطفولة جدا

إلا التعرف على أسبابهن, والبحث عن أخبارهن..)) (المصدر السابق ص 272) كذلك خاض تجارب الحب مع أقرانه في المجتمع الأندلسي آنذاك, لدى احتكاك ابن حزم بالجواري وتجاربه في الحب كان لهما+ الأثر الكبير في تأليفه وإبداعه في كتابة الرسالة عليه فان المؤلف لم يكن فيها مجرد أديبا فحسب بل كان عالما في النفس كما شهد له رجال الفكر (سعد 1968) (شتا 2003).

لعل أكثر الأشياء التي تبين فلسفة علم النفس في طوق الحمامة هو ما رصده ابن حزم من علامات حب على المحب و دلالاتها العميقة في النفس, ولنأخذ منها العلامات الجسدية والنفسية, بالنسبة للعلامات الجسدية هو ما لاحظه من علامات تظهر في الشكل الجسدي للمحب أثناء لقائه بمحبوبه مثل (ادمان النظر, إشارات العين, خطوات المحب البطيئة والسريعة, الملامس بالأعضاء الجسدية ما أمكن ذلك) أما العلامات النفسية تأخذ أشكالا مختلفة منها الاضطراب النفسي الذي يحدث عند المحب عندما تقع عيناه على ما يشبه محبوبه أو عند رؤية محبوبه بشكل فجائي, ويميل إلى الوحدة حتى ينشغل بالتفكير في محبوبه, القلق الشديد, البكاء (المصدر السابق ص 106 , 108, 110, 111) , على سبيل المثال من العلامات المذكورة إشارات العين حيث تظهر فيها علامات القطع والوصل والرضى والغضب, والضحك والحزن, والسؤال والجواب(المصدر السابق ص 103).

وبالنسبة لأنواع الحب التي تحدث فيها ابن حزم بالتفاصيل في الرسالة والمدعمة بروايات من واقع المجتمع فهي كذلك تحتوي على أمور نفسية مهمة من ذلك ما رواه حول حب الطاعة وحب صفة لا يستحسن غيرها, فقد وضح ابن حزم في حب الطاعة ما يتعرض له المحب من إهانة وذل وقهر عند حبه الأعمى لمحبوبه, وطاعته في ما يرغب وهذا ما حدث لصاحب الصلاة في قرطبة عندما استجاب لطلب جاريته بالحذف من لحيته مقابل الموافقة بالزواج منه((إن لحيتك استبشع عظمها, فإن حذفت منها, كان ما ترغبه فأعمل الجلمين فيها حتى لطفت, ثم دعا بجماعة شهود, واشهدهم على عتقها , ثم خطبها إلى نفسه فلم ترض به, وكان في جملة من حضر أخوه حكم بن المنذر, فقال لمن حضر: أعرض إني أخطبها أنا, ففعل, فأجابت إليه, فتزوجها في ذلك المجلس بعينه ورضي بهذا العار الفادح على ورعه ونسكه واجتهاده)) (المصدر السابق, ص 156) .أما حب صفة لا يستحسن غيرها فقد لاحظ ابن حزم بأن المحب يعشق صفة جمال معينة في حبه لمحبوبه الحاضر, وعند بحثه عن السبب في تشبث المحب بهذه الصفة دون غيرها, وجد أنها ترجع إلى حبه الماضي لمحبوبه الأول (المصدر السابق. ص130).

والجدير بالذكر ما أشار إليه ابن حزم في هذا السياق له علاقة بتأكيدات علماء النفس على أهمية الرجوع إلى حياة الفرد الماضية لفهم سلوكه في الحاضر، لأنهم يعتقدون في حياة الفرد الماضية وخاصة الطفولة والمراهقة لها تأثير بشكل في فهم وتكوين شخصيته في المستقبل (زارقه 2013, ص 142- 143).

كذلك لا تخلو موضوعات الفراق بين المحبين من اهتماماته النفسية منها، ما يقوم به المحب من تعويضات نفسية عند طول فراق بينه وبين محبوبه حيث يحاول أن يقنع نفسه بهذه التعويضات، ويجد فيها نوع من الرضى والصبر على فراق محبوبه ولعل أهمها حلم المحب لزيارة محبوبه في المنام وهي تنقسم عند ابن حزم إلى أربعة أشكال:

الشكل الاول: حلم المحب بعد هجر محبوب له لمدة طويلة أنه قد وصل إليه بعد طول هذا الفراق، فيرتاح ويسر وعندما يستيقظ يتأسف، لعلمه ما حدث له في الحلم كان من باب أماني النفس.

الشكل الثاني: حلم المحب بالخوف من هجر محبوبه له ، فينتابه قلق شديد ثم ينهض فيجد ذلك مجرد وهم ووسواس في النفس.

الشكل الثالث: حلم المحب بأن محبوبه بعيد الديار عنه فيحزن لذلك وبعد أن يستيقظ، ينتبه ما ذهب به حلمه أنه كان غير صحيح.

الشكل الرابع: حلم المحب بأن محبوبه قريب الديار وعندما يفيق من حلمه يعلم أن ما حل به كان مجرد وهم.(المصدر السابق ص 234 ص 235).

ونلاحظ هنا أن عالم النفس فرويد في تفسيره للأحلام يسير علي هذا المنوال فرأى أن حلم الشخص في +المنام, أنه عبارة عن تعويضات نفسية عن رغبات غير متحققة في الواقع. (زيغور 1992, ص)

وإذا تتبعنا فلسفة علم النفس في كتابه الأخلاقي، نلاحظ أنه كان امتدادا لمنهجه الوصفي الذي سار عليه في رسالته طوق الحمامة فهناك علاقة وثيقة بين المنهجين، وفي هذا السياق قال أحد الدارسين ((كان كتاب ابن حزم في الأخلاق، مرآة تعكس واقع مجتمعه آنذاك وما حدث فيه من فساد خلقي)) (أبو ليلى, 1999, ص101).

ونرى كذلك أن ابن حزم قد اعتمد في وصفه لأخلاق الناس على تجاربه الشخصية وتجارب الآخرين مثل ما فعل في رسالة طوق الحمامة، لكن يجب علينا التفريق بين تجاربه في الحب وتجاربه في الأخلاق، فتجاربه في طوق الحمامة محددة بأشخاصها والمكان والزمان وكانت أكثرها تخص طبقة معينة من الناس وهي الطبقة الأرستقراطية بينما نجد تجاربه في الأخلاق لم تكن محددة بأشخاصها وبالزمان والمكان إنما هي خلاصة تجارب إنسانية مستمدة من ملاحظاته ومراقبته لسلوكهم الأخلاقي عبر مراحل زمنية مختلفة.

ولكي نزيد من الأمر وضوحا لنرى منهج ابن حزم الذي اتبعه في وصفه لأخلاق الناس نذكر من خلال تشخيصه لواقع كلام الناس ومدح وذم بعضهم لبعض فيما يدور بينهم من أحاديث اجتماعية، والتي استنبط من خلالها أنواع تفكيرهم ومظاهر سلوكهم الخلقي، ويقسم أنواع كلامهم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: سريع الكلام فلسانه يسبق أقواله، ولا يبالي بما يظهر من كلامه وهذا منتشر بين أفراد المجتمع.

النوع الثاني: يوهم نفسه بأن كل ما يقوله هو الحق وما عداه هو الباطل وهو لا يسعى من كلامه في طلب الحقيقة إنما ما يهمه هو إقناع الآخرين بكل الوسائل إنما ما يقوله هو الحقيقة الكاملة.

النوع الثالث: هو من يضع كلامه في موضعه من دون زيادة ولا نقصان وهذا لا يوجد إلا عند قلة من الناس. (ابن حزم :3, تحقيق عباس, 1983,ص).

أما مدح وذم الناس بعضهم لبعض فيقسمه إلى عدة فئات منها:

1_ فئة تمدح في الوجه وتذم في المغيب.

2_ فئة تمدح في الوجه والمغيب.

3_ فئة تذم المشهد وتمدح في المغيب.

وهولاء الفئات من الناس يعتبر ابن حزم أخلاقهم غير حميدة وتتراوح بين السخف والطمع والنفاق، وهذا بعكس فئة أصحاب الفضلاء من الناس الذين يمسكون عن المدح والذم في المشهد والمغيب (المصدر السابق، ص 127).

اما رأي ابن حزم الشخصي في المدح والذم فإنه يفضل الذم على المدح، لأن ذم الناس إذا كان على حق، ينبه على اعوجاج في النفس يستفيد منه المرء في إصلاح عيوبه، وإذا كان ذمهم بالباطل فهو أجر من عند الله تعالى أما مدح الناس فإنه يؤدي بالمرء إلى الغرور أو يضع خصالا حميدة في الشخص وفي حقيقة الأمر غير موجودة فيه (المصدر السابق، ص 81).

وإذا انتقلنا بالحديث عن عيوب النفس يعتقد المؤلف أنه من طبيعة المخلوق البشري أن تكون لديه عيوب في نفسه، والسعيد هو من قلة عيوبه وأن يعلم بها قبل أن يعلمها الناس(المصدر السابق ص 99 ص 114)، وقد اتخذ من نفسه نموذجا لهذه العيوب، من خلال استخدامه لمنهج الاستقراء الذاتي في الكشف عن عيوبه (شتا, 19) فعمل على تشخيصها, وبذل جهد وعناء كبير في علاجها حتى استطاع أن يتخلص من أكثرها, من وجهة نظرنا ما كشف ابن حزم من عيوب نفسه, ليست مجرد اعترافات أو شجاعة أدبية من المؤلف فحسب بل إنه لا يستطيع أن يتحدث عن عيوب الناس, وهي أكثرها موجودة في نفسه، وهذه العيوب كما حصرها , الحقد المفرط، الاعجاب بالنفس، الإفراط في رضى، الغضب الشديد، دعابة غالبة, الاستعلاء والاستخفاف بالآخرين، وحب الغلبة والشهرة.(المصدر السابق, ص 107 ص 108 ص 109).

مما يؤيد أن ابن حزم كان صادقا في تشخيصه لعيوب نفسه، وتمكنه من التخلص من غالبيتها، نرى أنها ظاهرة على سلوكياته المتمثلة بجداله العنيف مع عقائد الديانات الأخرى ومع خصومه المخالفين له مثل تهجمه على العقيدة اليهودية، كما هو الحال في رسالته الرد على بن نغريلة اليهودي، واستخفافه بمذهب الأشاعرة الذين يشككون بوجود قوانين حتمية تسير الكون.

وأما الكيفية التي تثبت أن ابن حزم استطاع التخلص من معظم عيوبه , فنجدها في شخصيته الفكرية في كتابه الأخلاقي المذكور حيث كان أسلوبه فيه خالي من الجدال العنيف وتتسم بالهدوء والنضج الفكري في محاكمة الناس (عباس, 1983) وبعد أن تحدث عن عيوبه النفسية سهل له الأمر في الحديث عن أهم العيوب المنتشرة بين الناس وهي .(ظاهرة الإعجاب بالنفس), لذا نراه ينصح المرء أنه إذا امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه, فإن أعجب بفضائله فليفتش ما فيه من الأخلاق السيئة, وإن اعتقد انه ليس فيه عيوب فليعلم أنها مصيبة للأبد, ويضيف على ذلك أن الذي يجهل عيوبه إما أن يكون ناقص علم وعقل وإما يوهم نفسه بأن عيوبه هي خصال حسنى مثل الذي يتفاخر بالزنا والسرقة والظلم(ابن حزم, المصدر السابق ص 155), وتجدر الإشارة إلى أن ما ذكره ابن حزم في هذا الخصوص يعطي نفس المعنى عند عالم النفس (جلاسر, 1970 ص 293, ترجمة القذافي, 1998) حول عيوب الإنسان وأخطائه فقد رأى لكي يكون الإنسان ذا قيمة فلابد أن يتعلم كيفية تصحيح أخطائه الشخصية من جهة وتقييم سلوكه الإيجابي من ناحية أخرى, حتى ينال التقدير والاحترام من قبل الآخرين, ويبين ابن حزم أن الإعجاب بالنفس **له** ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: هو التفاخر المرء بما يملكه من الأشياء المادية والمعنوية مثل المال والسلطة والنسب. ويرى ابن حزم أنه ليس هناك من مبرر للإعجاب والتفاخر بهذه الأشياء مبينا ذلك من أمثلة من واقع الحياة مثل التفاخر بالعلم, فذكر أنه كان يعرف شخصا كان يتسم بالذكاء وسرعة الحفظ وقوة الذاكرة واسترجاع ما يحفظ بسرعة فائقة, وعندما تعرض لحادث أليم وهو مبحر في سفينة قد أنساه ما كان يحفظ وظل فاقد الذاكرة لمدة طويلة وعندما أسترجع ذاكرته لم يتذكر إلا القدر اليسير من المعلومات, وهناك أشخاص يجتهدون في العلم والانكباب على الدروس ومع هذا لا يستوعبون إلا القدر القليل منه لذا يؤكد ابن حزم أن ما يملكه الإنسان من العلم وغيرها من الأشياء هي مواهب ونعم من عند الله , ويجب علينا أن نقدم له الشكر وليس بالتفاخر بها أمام الناس،.(ابن حزم,3, المصدر السابق. ص 158–162) ويضيف بن حزم إن هذا العجب إذا زاد حده يؤدي إلى الاستعلاء واحتقار الآخرين ويمتد الى الإيذاء وضرب الناس (المصدر السابق ص 196).

الوجه الثاني: هو إعجاب المرء بنفسه بدون معنى ولا توجد فيه أي خصال أو فضيلة تجعله يعجب بنفسه فقد لاحظ أن هناك من الناس من يمتلك أدني مراتب الأشياء فيوهم نفسه أنه وصل الى أعلاها مثل اعتقاد ضعيف العقل بأنه وصل الى أعلى درجات الكمال، ومن لديه حظ قليل من العلم ظن أنه عالم كامل ومن لديه قدر بسيط من الشجاعة توهم أنه أشجع من الإسكندر الأكبر ولا يضاهيه أحد في القوة (المصدر السابق ص170) ويرى المؤلف أن هذا الوجه من العجب إذا اشتد بالمرء فإنه يدخل ضمن المشاكل النفسية.

يعتقد الأشاعرة أن هذه القوانين تسير وفق العادة بمعنى أنه اعتدنا عند ملامستنا للنار يحدث احتراق وليس هناك علاقة سببية حتمية بين النار والاحتراق.

الوجه الثالث: قد يكون العجب هو مدفون داخل النفس وعندما يحصل الشخص على ما يريد من الأشياء فإن الإعجاب بنفسه والاستعلاء يظهر بشكل واضح في تعامله مع الآخرين ولا يستطيع السيطرة على هذا العجب والتفاخر بنفسه. (المصدر السابق، ص 172).

ولم يكتف المؤلف بتحليله النفسي لظاهرة الإعجاب بالنفس إنما بحث عن الأسباب التي تجعل المرء يعجب بنفسه ويحتقر الآخرين حيث وجد انها ترجع في لأصل إلى مشكلة في الأخلاق فترى الجاهل يستهزئ بآراء العلماء، وترى بعض العقول الضعيفة من النساء يستهزئن من فضلاء الناس، وترى الضعفاء من الصبيان يسخرن من أكابر السن وهذا بخلاف خيار الناس الذين يتسمون بالأخلاق الحميدة فلا تصدر منهم مثل هذه التصرفات الأفعال غير الخلقية. (المصدر السابق , ص171).

اما موضوع الجنس الذي تناوله ابن حزم في طوق الحمامة كجزء لا يتجزأ من واقع مشهد الحب بالمجتمع الأندلسي ولا يعنى ذلك أن ا بن حزم يريد بذلك نشر الرذيلة في مجتمعه (غرسيه 19 ص) إنما أراد أن يبين أن الجنس ظاهرة موجودة في المجتمع تؤثر في الأفراد سلبا أو إيجابا حتى إن كان يمارسها الأفراد في الخفاء وبعيد عن أعين الآخرين ,ونرى المؤلف قد واصل الحديث عن الجنس في كتابه الأخلاقي فذكر في فصل أنواع المحبة أن أقصى أنواع المحبة عند المحبين هي الطمع الجنسي، وبين ذلك بأن المحب يرغب في الجماع مع محبوبته في أوضاع وأماكن شتى

حتى يدعم تواصل المحبة مع محبوبته، وعلق (عباس, 1983 ص 327) على هذه النقطة فرأى ن ما ذكره المؤلف يتقارب جدا في معناه مع ما أكده فرويد على أهمية الدور التي تلعبه الغريزة الجنسية (اللبيدو) في حياة الفرد.

ونختم الحديث عن فلسفة علم النفس بالأبعاد المعرفية المهم بما يطرحه بمفهومه لطرد الهم وعلاقته بالغرائز الإنسانية، فقد جعله غاية عليا لأفعالنا الإنسانية الذي قدم به رؤيته الفلسفية النفسية الخاصة به في تحليل الهدف من حياتنا الخلقية، فمن المعتاد أن الغاية من الفعل الإنساني تفهم في الفلسفة الخلقية بصورة إيجابيه مثل السعادة أو اللذة أو المنفعة ((غلام. 2005,)) بينما نجد المؤلف يرجعها إلى النفس, من خلال طرد الإنسان الهم عن نفسه ودعم هذا المفهوم باستقرائه لأحوال الناس بعرضه لنماذج نفسانية متنوعة ويقارن بين حالة وحالة أخرى, ليبين من خلالها أن كل الناس تشترك في طلب وتحقيق هذه الغاية (طرد الهم), وليس هذه فحسب بل رأى أنه بعد التعمق بالتفكير فيه قد وجد أنه ينسحب كذلك على حركات الغرائز في الفعل الإنساني فقد بين أن حركة الفعل نحو الأكل وغيرها الغرض منها هو لأجل طرد هم أضاد أفعالها أي طرد هم الجوع والعطش(إنما أكل من أكل والشرب من شرب ونكح من نكيح.....ليطردوا عن أنفسهم هم الأضداد الأفعال وسائر الهموم), (ابن حزم :3, تحقيق عباس, 1983). وهذا يعطي نفس الميكانزيم الذي استعمله فرويد في تحليله للغرائز، فحركة الفعل نحو، الأكل والشرب يرى أن الهدف الأساسي منها هو اشباع غريزة الجوع والعطش، ويوضح هذا المعنى عندما تحس بالجوع تصبح نشطا لعلك تذهب إلى الثلاجة وتأخذ ما تشتهيه من الأكل، فتشعر بأنك أفضل حالا، فالجوع يدفعك للقيام بشيء أي الأكل للتخلص من الجوع ذاته، وعندما تحس بالعطش فإنك تشرب فالعطش يقودك إلى نشاط ينتهي بالقضاء على العطش (عريف, 1986، ص 127).

بالتالي نستطيع القول أن ما أسهم به ابن حزم من فلسفة علم النفس في الحب والأخلاق تتميز بالأصالة والمعاصرة، فلم تكن ذات طابع تجريدي مثل أفلاطون في محاورته المأدبة حول الحب و الكندي في رسالته في دفع الأحزان، إنما نجده قد استمد دراسته الفلسفية والنفسية من وصفه لواقع الحب وأخلاق الناس في المجتمع الأندلسي، وما أتى به العلماء في مجال علم النفس وخاصة فرويد، قد أسس ابن حزم دعائمه منذ عدة قرون ولو كان ذلك بصورة مختصرة.

آمل من هذه الإطلالة السريعة على فلسفة علم النفس عند ابن حزم في الحب والأخلاق أن تفتح آفاق لدراسات مستقبلية أكثر توسعا، وعمقا وتحليلا.

المصادر والمراجع:

1_ أبو محمد، ابن حزم1، 1986, الفصل في الملل والنحل، الجزء الأول، بيروت، دار المعرفة.

2_ أبو محمد , ابن حزم2 , 1983 ,طوق الحمامة تحقيق احسان عباس، بيروت, المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

3_ابو محمد , ابن حزم 3, 2005, الاخلاق والسير, ايقا رياض، ترجمة عبد الحق التركماني, بيروت, دار ابن حزم.

4_ الكندي, أبو إسحاق, 1973, في الحيلة لدفع الاحزان، تحقيق عبد الرحمن بدو, بنغازي, جامعة قاريونس.

5_ غلام، عمر, 2005, (الابعاد المعرفية لمفهوم طرادهم ومركزية عند ابن حزم الأندلسي، مجلة جمعية الدعوة الإسلامية) العدد 21.

6_ زغيور, علي,1998, مذاهب في علم النفس , بيروت, مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.

7_ غالب, مصطفى , 1997, سيكولوجية علم النفس، لبنان, مكتبة الاهلال.

8_ القذافي، رمضان , 1998, الصحة النفسية والتوافق، الطبعة الثالثة، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.

9_ عريف، عبد الله, 1993 اتجاهات علم النفس المعاصر، الطبعة الأولى، بنغازي، جامعة قاريونس.

10_ زارقة, فيروز, 2013, السلوك العدواني لدى المراهق بين التنشئة الاجتماعية وأساليب المعالجة الوالدية, عمان, دار الأيام للنشر والتوزيع.

11_ شتا, علي, 2003, علم النفس الظاهري عند ابن حزم, الإسكندرية , المكتبة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع.

12_ أبو زهرة, محمد , 2004, ابن حزم حياته وعصره – آراؤه وفقه , القاهرة, دار الفكر العربي.

13_Abu Laylah, Muhammad, 1990, In Pursuit of Virtue, London, Ta-Ha Publishers Ltd.

14_Garcia, Emilio, 2015, El collar de la Paloma, Madrid, Alianza Editorial.